Fatma AL-NAIMI ¹

SURAT ASH-SHURA, AN ANALYTICAL RHETORICAL STUDY

<http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.1-3.1>

Abstract:

Research Article

Received:

22/11/2020

Accepted:

12/12/2020

Published:

01/01/2021

This article has been
scanned by iThenticate
No plagiarism detected

Copyright © Published
by Rimak Journal,
www.rimakjournal.com

Rimar Academy, Fatih,
Istanbul, 34093 Turkey
All rights reserved

The research deals with the study of Surat al-Shura, an analytical rhetorical study, and the linguistic root of its title indicates its manifestation, presentation, and extraction. In Islam and teaching Muslims to base their lives on this optimal and most complete approach (the method of shura) because of its great impact on the life of the individual and society. It was added in its opening with (Ham) other letters, which are (Asq), and for this reason it is also called (Ham Asak) and is called (Surat Asq) for the purpose of abbreviation, and it was singled out as adding (Asq) to (Ham) because of the severity of the stabbing against the Qur'an. At the time this Surah was revealed, the challenge to them was more severe, so it was more challenging for them than the letters of the spelling. The surah was distinguished by its miraculous rhetorical style, and the abundance of various rhetorical arts in its verse systems. The rhetorical study of this Surah aims to note that the rhetorical arts embrace the ideas and topics presented in a harmonious manner, and how these ideas and themes are manifested through those arts with inspiration, vitality and power of influence, for rhetoric means fulfilling the meaning and abstaining from beauty, that is, the artistic and psychological aesthetic capacity in it, especially since this Surah may She revealed the call during her Meccan era. The research aims to reach an understanding of the aspects of the rhetorical miracles of the Holy Qur'an. The statement of the Qur'anic expression often affects the formula and its derivation. The research relies on the approach of the inductive approach, by following the Qur'anic verses related to this topic in letter and spirit. And the rhetorical analytical method, by analyzing these verses and dividing them according to their content; And the deductive approach, by extracting the rhetoric, meanings, connotations and directions in the noble verses.

In the end, I concluded that reaching an understanding of aspects of the rhetorical miracles of the Holy Qur'an can only be achieved through an understanding of the rhetorical method based on deep

¹ Dr. , Qatar University, Qatar, fatmasalnaimi@qu.edu.qa,
<https://orcid.org/0000-0002-5212-9186>

consideration, feeling and artistic appreciation of the Qur'anic verses.

Key words: Surah, Shura, Study, Rhetoric, Analysis.

سورة الشورى دراسة بلاغية تحليلية

فاطمة سعد النعيمي²

الملخص

يتناول البحث دراسة سورة الشورى دراسة بلاغية تحليلية، ويدل الجذر اللغوي لعنوانها على الإظهار والعرض والاستخراج، وقد ذكر اسم السورة في أثناء حديثها عن صفات المؤمنين، وتبين أهمية الشورى من موقع ذكرها بين أمهات أركان الأمة الإسلامية وصفات المؤمنين، وجاء عنوان هذه التسمية تنويهاً بمكانة الشورى في الإسلام وتعليماً للمسلمين أن يقوموا حياتهم على هذا المنهج الأمثل الأكمل (منهج الشورى) لما له من أثر عظيم في حياة الفرد والمجتمع. وقد زيد في افتتاحها ب(حم) حروف أخرى هي (عسق)، ولذلك تسمى أيضاً ب (حم عسق) وتسمى (سورة عسق) لقصد الاختصار، وقد خصت بزيادة (عسق) على (حم) لما كان عليه الكفار من شدة الطعن في القرآن وقت نزول هذه السورة فكان التحدي لهم بالمعارضة أشد فزيد في تحديهم من حروف التهجي.

لقد امتازت السورة بأسلوب بلاغي معجز، وبوفرة الفنون البلاغية المختلفة في نظم آياتها. والدراسة البلاغية لهذه السورة تهدف إلى ملاحظة احتضان الفنون البلاغية للأفكار والموضوعات المطروحة على نحو متناغم، وكيف تتجلى هذه الأفكار والموضوعات من خلال تلك الفنون ذات إحياء وحيوية وقوة تأثير، فالبلاغة تعني الوفاء بالمعنى والامتناع بالجمال، أي القدرة الفنية والجمالية النفسية فيه ولاسيما أن هذه السورة قد نزلت والدعوة في عهدها المكي. يهدف البحث إلى الوصول إلى فهم جوانب الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم. وبيان التعبير القرآني غالباً ما يؤثر على الصيغة واشتقاقها.

ويعتمد البحث على المنهج الاستقرائي، وذلك من خلال تتبع الآيات القرآنية المتعلقة بهذا الموضوع نصاً وروحاً؛ والمنهج التحليلي البلاغي، وذلك من خلال تحليل تلك الآيات وتقسيمها حسب مضمونها؛ والمنهج الاستنباطي، وذلك من خلال استخراج ما في الآيات الكريمة من بلاغة ومعاني ودلالات وتوجيهات.

وقد توصلت في النهاية إلى أن الوصول إلى فهم جوانب من الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم لا يكون إلا بفهم الأسلوب البلاغي المعتمد على النظر العميق والشعور والتذوق الفني للآيات القرآنية.

الكلمات المفتاحية: سورة، الشورى، دراسة، بلاغية، تحليلية.

² د. ، جامعة قطر، قطر، fatmasalnaimi@qu.edu.qa

المقدمة:

انفرد القرآن الكريم بأسلوبه المعجز ونظمه البديع في عرض موضوعاته المختلفة. ويتجلى التأكيد على سمو بيانه وذروة بلاغته من خلال متابعة الأسرار البلاغية التي تحتشد بين ثنايا سورة الكريمة، والتي تستحوذ على الأذهان وتأسر النفوس وتعمق الجوانب الإنسانية في الذات ليتحقق الغرض الأسمى في ظل التوجيهات العظيمة والعواقب المنوّه عنها ويزداد أولو الأبواب عبرة وبصيرة. ولعل من أسمى أغراض النظم القرآني أنه يقوم على الغرض الديني المحض الذي لا تزيع به الأهواء ولا تشوبه الأهوام، وهو يسلك سبيل الصواب ويرسخ في النفس دعامة الكيان الروحي، ويؤصل في روعها التوجيهات الدينية الرائدة، وكان ذلك من أبرز الخصائص التي ينفرد بها الأسلوب القرآني والذي يصب في قوالب الإعجاز ويحاط بسياج من التراكيب العجيبة المحكمة والأساليب البلاغية العالية.

لذا قال الإمام عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز متحدّثاً عن أهمية علم البيان: "إنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً، وأسبق فرعاً، وأحلى جنى، وأعذب ورداً، وأكرم نتاجاً، وأنور سراجاً، من علم البيان، الذي لولاه لم تر لساناً يحك الوشي، ويصوغ الحلي، ويلفظ الدر، وينفث السحر، ويقري الشهد، ويريك بدائع من الزهر، ويحنيك الحلو الينع من التمر، والذي لولا تحفيه بالعموم، وعنايته بها، وتصويره إياها، لبقيت كامنّة مستورة، ولما استبنت لها يد الدهر صورة، ولا ستم السرار بأهلتها، واستولى الخفاء على جملةتها، إلى فوائد لا يدركها الإحصاء، ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء" (الجرجاني، 1992). ولما تميزت به سورة الشورى من وحدة الموضوعات التي تناولتها، فهذه السورة الكريمة مكبة، وموضوعها نفس موضوعات السور المكية التي تعالج أمور العقيدة: (الوحدانية، الرسالة، البعث والجزاء) والمحور الذي تدور عليه السورة هو: (الوحي والرسالة) وهو الهدف الأساس للسورة الكريمة.

وسميت سورة الشورى بهذا الاسم تنويهاً بمكانة الشورى في الإسلام، وتعليماً للمؤمنين أن يقيموا حياتهم على هذا المنهج الأمثل الأكمل منهج الشورى، لما له من أثر عظيم جليل في حياة الفرد والمجتمع. أما أسلوب نظمها فهو جزء من الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم؛ لذا فإن المناسبة بين مطلع سورة الشورى وخاتمتها واضحة جداً، ففي بداية السورة الحديث عن القرآن الكريم في قوله تعالى: (حم) (1) عسق (2) كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3) (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ).

وفي نهاية السورة الحديث أيضاً عن القرآن الكريم في قوله تعالى: (كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (52)). وعلى هذا كان الاستمداد من المدونات التفسيرية والمنايع البلاغية منهجاً تحليلياً يسعى من خلاله إلى توضيح المفردة على وفق لبوسها الجديد، وإلى عرض تجاوزها لحياة المعجم ومدى ارتباطها له فيما يخدم المعنى المراد، وبيان خصوصية دلالتها في القرآن وعرض علاقتها بالنظم مع التأكيد على أهمية المفردة والنظم في بنية الآية، وبيان بلاغة التعبير بها في سياقها من خلال الموازنة مع السياقات المشابهة له في مواضع أخرى. فلا بد من البحث في جوهر الألفاظ وفي مقدار وحيها إلى الذوق ومبلغ تأثيرها في النفس وإعرابها عن وكفايتها في أداء الغرض، ذلك أنّ دراسة البلاغة العربية وقيمتها النفسية تكون في تبيان صلة الأساليب البلاغية بتشكيلاتها ومصطلحاتها بالنفس الإنسانية وانعكاسها في فلكها الاجتماعي لتحقيق هذه الأساليب ما يرمي إليه القرآن من أهداف دينية.

أهمية البحث تتضح في نقاط كثيرة من أهمها:

- أولاً: تقدم موضوعاً جامعاً من مواضيع النظم القرآني، فالتصوير الفني في القرآن لا يجدي في تذوقه إلا الذوق البلاغي.
- ثانياً: البحث في الكلمة وما فيها من جمال وجرس موسيقي له أثره في التعبير.
- ثالثاً: البحث في الجملة وما يحدث بين أجزائها من تغيير وتراسل.
- رابعاً: البحث في صور التعبير المختلفة، وأن يأتي كل ذلك موحداً دون تجزئة التراكيب إلى أقسام وتفرعات تتوزع على التقسيمات البلاغية.

أهداف البحث:

- أولاً: الوصول إلى فهم جوانب الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم.
- ثانياً: التعبير القرآني غالباً ما يؤثر على الصيغة واشتقاقها.

ثالثاً: بيان أن التقديم والتأخير من أثر النفس عندما ينسجم مع مقتضى الحال.
رابعاً: تواشج الوجهة البلاغية في سورة الشورى.

إشكالية البحث:

تناول سورة الشورى بما فيها من الأساليب البلاغية بغية التعرف على المعاني التي تحتويها الصيغ والصورة، وإدراك دقائق الدلالات واستنباط المعاني الثواني التي تتضمنها الآيات، والوصول إلى غاية النص القرآني وأهدافه وتأثيره في المخاطبين.

منهج البحث: اقتضت طبيعة البحث استخدام المناهج الآتية:

أولاً: المنهج الاستقرائي، وذلك من خلال تتبع الآيات القرآنية المتعلقة بهذا الموضوع نصاً وروحاً.
ثانياً: المنهج التحليلي البلاغي، وذلك من خلال تحليل تلك الآيات وتقسيمها حسب مضمونها.
ثالثاً: المنهج الاستنباطي، وذلك من خلال استخراج ما في الآيات الكريمة من بلاغة ومعاني ودلالات وتوجيهات.

هيكل البحث:

المقدمة: تتضمن أهمية الموضوع، وأسئلته، وخطته، ومنهج البحث.
المبحث الأول: الأساليب البلاغية والتحليلية في تنزيل القرآن وصفاته لسورة الشورى
المبحث الثاني: الأساليب البلاغية والتحليلية في النعم الإلهية لسورة الشورى
المبحث الثالث: ثبت الأساليب البلاغة في سورة الشورى
الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: الأساليب البلاغية والتحليلية في تنزيل القرآن وصفاته لسورة الشورى

تبتدئ السورة الكريمة بتقرير مصدر الوحي، وبذكر النزول القرآني، ومصدر الرسالة، فالله رب العالمين هو الذي أنزل الوحي على الأنبياء والمرسلين، وهو الذي اصطفى لرسالاته من شاء من عباده، ليخرجوا الإنسانية من ظلمات الشرك والضلال، إلى نور الهداية والإيمان.

وهذه الحروف المقطعة (حم * عسق) ذكرت للتنبيه على إعجاز القرآن الكريم، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف التي يتخاطبون بها (ابن كثير، 1419هـ).

المطلب الأول: الأساليب البلاغية في تنزيل القرآن وصفاته باعتبار المرسلين.

تطالعنا سورة الشورى بصفة الكتاب العزيز الذي تسنده إلى المرسل، وذلك في قوله تعالى: (كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطُّنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ).

فقد وصف الكتاب بأنه وحي يوحى إلى الرسول ﷺ كما أوحى إلى الرسل من قبله، ويذكر هذا الإيحاء على سبيل التشبيه، وقد تعددت الأقوال فيه بين أن يكون ما في هذه السورة من المعاني هو المشبه به، أي مثل ما فيها يوحى الله إليك في سائر السور وإلى من قبلك من الرسل، أو مثل إيحاء هذه السورة يوحى الله إليك، ومدار المثلية هو الدعوة إلى التوحيد أو كونه بواسطة الملك (البروسوي)، وحين يكون مضمون السورة أو إيحاؤها مشبهاً به فإن ذلك يزيد من تفخيمها وعظمة أمرها.

ويرى (الرازي، 2000) أن المشبه به هو الكتاب المسمى بـ (حم، عسق)، ويذهب (أبو السعود) إلى القول: "إن مضمون السورة موافق لما في تضاعف سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة في الدعوة إلى التوحيد الإرشاد إلى الحق أو إيحاءها مثل إيحاءها بعد تنويعها بذكر اسمها والتنبيه على فخامة شأنها".

وذكر (ابن عاشور، 1984هـ) أن في الآية إدماجاً، والتشبيه على أصله، أي مثل وحيه إليك وحيه إلى الذين من قبلك، والغرض من التشبيه إثبات التسوية.

أما الإيجاز الذي جاء عليه نظم الآية الكريمة فإن دلالاته الإيحائية تنبئ بتمائل إعراض أهل مكة عن الدعوة وإعراض الأقوام من الأمم السابقة التي بعث إليها الرسل كما تشابه الوحي بينه وبينهم، وفي ذلك تسلية له ﷺ، وهنا تظهر مزية

الإيجاز في زيادة دلالة الكلام عن طريق الإيحاء ذلك أنه يترك على أطراف المعاني ظلالاً خفية يشتغل بها الذهن، ويعمل فيها الخيال حتى تبرز وتتلون وتتسع وتتشعب إلى معانٍ آخر يتحملها اللفظ، فالإيجاز قوة في التعبير وامتلأ في اللفظ وشدة في التماسك (الصاوي، 1979).

وتتواشج الفنون البلاغية في الآية على نسق معجز، يبتدأ بالتشبيه المتسق مع تقديم المجرور من قوله (كذلك) على (يوحى إليك)، وفائدة التقديم هنا للاهتمام بالمشار إليه أولاً، والتشويق بتنبيه الأذهان إليه، وهكذا يحرص التعبير القرآني على أن يكون هذا التقديم مشيراً إلى مغزى دالا على هدف حتى تصبح الآية بتعبيرها تابعة لمنهج نفسي يتقدم عندها فيها ما تجد النفس تقديمه أفضل من التأخير، فالتقديم والتأخير هو إحدى وسائل التأثير في النفس (البدوي، 2005)، فغاية التقديم هنا التشويق إلى ما بعده، وتأخير الفاعل لمراعاة الفواصل إلى جانب التشويق (القاسمي، 1418 هـ). وإذا عددنا الإشارة إلى متأخر لفظاً وهو المصدر المأخوذ من الفعل يوحى فسيكون ذلك غاية في البلاغة وهو مبتكرات القرآن (ابن عاشور، 1984 هـ).

ومن اللطائف البلاغية في نظم الآية الكريمة إثارة التعبير عن الوحي بالفعل المضارع خلافاً لمقتضى المقام، إذ إن الوحي إلى الرسل السابقين قد مضى، فلم يقل أوحى إليك وإنما (يوحى إليك) ليدل على أن إحياء مثله صفته، فضلاً عن أن في العدول عن الماضي إلى المضارع دلالة على الاستمرار والتجدد وأنه لا ينقطع في مدة حياته الشريفة ليبيأس المشركون من إقلاعه، ولا يتعارض هذا التجدد مع ذكر الرسل السابقين، لأن المقصود به الرسول ﷺ، أما قوله (إلى الذين من قبلك) فهو إدماج، ويمكن أن يكون العدول إلى المضارع شامل للجميع ليدل على استحضر صورة الإيحاء إلى الرسل حيث استبعد المشركون وقوعه فجعل كأنه مشاهد (ابن عاشور، 1984 هـ). فالفعل المضارع يوضح الحال التي يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها، فالغاية هنا تبيّن هيئة الفعل واستحضر صورته ليكون السامع كأنه يشاهدها (ابن القيم)، فضلاً عن دلالة التعبير بالفعل على التجدد والحدوث "والمراد بالتجدد في الماضي حصوله، وفي المضارع تكراره" (البدوي، 2005).

أما تقديم ذكر الإيحاء إليه ﷺ على ذكر الإيحاء إلى الرسل السابقين فيفيد تقديم الأليق بالسياق (لاشين، 1978)، إذ الغاية هي التسلية والتثبيت، وفيه رد على المنكرين بالجام ما في نفوسهم من إنكار حقيقة الكتاب، فكان التقديم هنا أفاد التخصيص أيضاً مراعاة لمقتضى الحال، فضلاً عما فيه من التشريف له ﷺ.

والكتاب العزيز الذي استمد صفته من المرسل - وهي صفة الوحي والإيحاء - يشترك فيها مع الكتب السماوية الأخرى التي أوحى ال له بها إلى رسله، وهكذا تتقرر وحدة الوحي ومصدره على تتابع الرسل (صلوات ال له وسلامه عليهم) وامتداد الزمان، وفي ذلك إشعار للمؤمنين بأصالة ما هم عليه، فهو منهج إلهي واحد وثابت، أما المنكرون فقد تاهوا في سبل متفرقة، لا يعرف لها مصدر، وليس لها من الثبات شيء، وتكون الآية تعريضاً بهم، وبما هم عليه من الضلال.

وبعد أن تأخر ذلك فاعل الإيحاء واشتاق النفوس إلى معرفته، يذكره التعبير القرآني بقوله (اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)، ويتناسب الفصل هنا مع التشويق الذي حققه التأخير، وكأن سائلاً يسأل وقد امتلأ شوقاً: من الموحى؟ فجاء الجواب على سبيل الفصل، وإنما قدر ذلك ليدل على أن الإيحاء مسلم معلوم وأن الغرض من الإخبار إثبات أن الله تعالى هو الموحى إلى الرسول ﷺ وإلى الذين من قبله (الألوسي، 1415 هـ).

ومن التناسب إثارة ثنائية (العَزِيزُ الْحَكِيمُ) لمزيد الاختصاص فيهما بالغرض المقصود، فالعزیز: المتصرف بما يريد لا يصده أحد، والحكيم: يحمل كلامه معاني لا يبلغ إلى مثلها غيره، فهو الذي يصطفي مَنْ يشاء للرسالة، فضلاً عن تناسب هذا الاقتران مع ما يليه في الآية الأخرى، لأن مَنْ كان ما في السموات وما في الأرض ملكاً له العزة لقوة ملكوته وتحقق له الحكمة (ابن عاشور، 1984 هـ). وتقدم (العزیز) على (الحكيم) من باب التقديم بالطبع لأنه عزّ فلماً عزّ حكم، وقد يكون من باب تقديم السبب على المسبب (لاشين، ابن القيم وحسه البلاغي، 1982).

وتأتي بعدها الآية الأخرى مقررة لوصفه (العزیز الحكيم) فهو المالك لما في السموات وما في الأرض لا شركة في ذلك لأحد سواه، وكثيراً ما يأتي لفظ لما في (السموات) جمعاً ويقترن به لفظ (الأرض) مفرداً، وسبب ذلك "أن الأرض هي دار الدنيا التي بالإضافة إلى الآخرة كما يدخل الإنسان إصبعة في اليم فما تعلق بها هو مثال الدنيا من الآخرة والله سبحانه لم يذكر الدنيا إلا مقللاً لها محقراً لشأنها وأما السماوات فليست من الدنيا هذا على أحد القولين في الدنيا فإنه اسم للمكان فإن السماوات مقر ملائكة الرب تعالى ومحل دار جزائه ومهبط ملائكته ووحيه" (ابن القيم م.)، ففي أفراد (الأرض) تعريض بمن أخلد إليها واتبع هواه وأعرض عن ذكر الله وطاعته، وفي جمع (السموات) تعظيم لشأنها وبيان القدرة الخالق

العظيم، وتقدم ذكر السموات على الأرض في الآية من باب تقديم الأعجب فالأعجب، ويتناسب مع السياق الذي يعرض ذكر الإحياء للرسول، كما يتناسب مع تقدم (العلي) على (العظيم).

وجاءت الآية بعدها على سبيل الفصل بينها وبين ما قبلها لأنها مستأنفة ومقررة لمعنى (وهو العلي العظيم)، ويتناسب وصف السماوات بالتفطر مع وصف (العلي العظيم) فهي تفطر من هذه العظمة التي تستشعرها لربها، ويتناسب مع هذه العظمة وصف الملائكة في حركة دائمة وهم يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لأهل الأرض، هكذا بصيغة الفعل المضارع الدال على الاستمرار والتجدد، فضلاً عما توحى به صيغة (التفعل) في (يتفطرون) من الشدة والمبالغة. والتخصيص في قوله (من فوقهن) يوحى أيضاً بعظمة الآيات وجلالها كالعرش والكرسي والملائكة، فضلاً عن الإيماء في ذلك إلى التفطر من تحتهن بالطريق الأولى (الألوسي، 1415 هـ).

وفي هذه الصورة المتحركة تبرز ظاهرة التشخيص بالاستعارة المكنية والتي وهبت (السموات والأرض) صفة الحياة والعقل والوعي والإدراك، وفي المنظور العقدي حركة مجازية لأن الفاعل الحقيقي للتفطر هو الله (صالح، 2010). ولما تقدم ذكر السموات على الأرض، ثم وصفت بهذا الحدث الكبير - وكل ذلك من دلائل قدرته وعظمته - ناسب ذلك ذكر الملائكة وطاعتهم الدائمة لله العلي العظيم، وتقدم التسبيح على الاستغفار ليفيد بأنه الأهم، أو هو من تقديم السبب على المسبب، وإضافة (الرب) إلى ضمير الملائكة للتشريف.

ثم يأتي التذييل المناسب لذلك متضمناً ثنائياً (الغفور الرحيم) ليتناسب مع استغفار الملائكة لمن في الأرض، وقد جاء ذلك على سبيل الوصل ب(إن) "وهو وصل قائم على فصل أو بني معناه على قطع، وفائدته تنبيه السامع أو القارئ أو المخاطب إلى علاقة وثيقة بين أجزاء الكلام لو جرى الوصل فيها بحرف العطف لما بلغ أثره مبلغ ما يكون في القطع الذي يتلو حرف توكيد وتقوية وهو (إن)" (الجواري، 1987)، فضلاً عن (إلا) التي أفادت التنبيه لكل من يسمع الآية أو يقرؤها (المرادي، 1992).

ويجمع إلى العزة والحكمة، والعلو والعظمة، المغفرة والرحمة، ويعرف العباد ربهم بشتى صفاته، ويعرفوا من خلال عظمته وجلاله، عظمة القرآن بصفاته المتعددة، وأنه الحق فلا سبيل إلى النجاة إلا به. أيضاً يذكر الكتاب الكريم بصفة تستند إلى المنزل العدل، وذلك في قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ)

فبعد أن انتهى من ذكر المجادلين ووعيدهم بالعذاب الشديد، عرض في هذه الآية صفته تعالى بإنزال الكتاب الهادي للناس، مقترناً بصفة تستند إلى المنزل وترتبط بما تضمنه من الحق العدل، وقد جاءت الآية بمثابة الدليل للآية السابقة (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ)، والدليل جزء من البيان بعد الإجمال، ولذلك جاءت على سبيل الفصل عما قبلها لشدة اتصال معناها بمعنى التي قبلها، وأثر الفعل (أنزل) دون (نزل) للتناسب مع المقام الذي جاء بمثابة الدليل بعد الوعيد المذكور في الآية السابقة، ولأن (أنزل) خال من دلالة التدرج والتكرار الذي لا يقتضيه المقام، فضلاً عن دلالة العموم التي تتناسب مع دلالة التعريف في لفظة (الكتاب) فهو للجنس إذ يعم جميع الكتب المنزلة. (ابن عطية، 1422 هـ).

وتأتي الاستعارة اللطيفة في لفظة (الميزان) للتعبير عن العدل أو الشرع الذي أنزله الحق في الكتب الإلهية، وتتناسب هذه الاستعارة مع ما بعدها من ذكر السعة وقرب موعدها، فيومئذ توزن الأعمال بميزان العدل للجزاء، فضلاً عن دلالة هذه الاستعارة على وحدة مضامين الكتب السماوية وأن ما فيها ميزان لكل شيء توزن به الحقوق الواجبة الأداء سواء كان من حقوق الله أم من حقوق العباد، وتبرز من خلال هذه الاستعارة قيمتها الفنية والجمالية والتي تنبثق من نقل العدل وهو معنوي إلى الحس فيزداد جلاء ووضوحاً (الجري، 1995)، ويجوز أن يكون التعبير عن العدل بآلته (الميزان) مجازاً مرسلًا بعلاقة الآلية، وهي أن يذكر اسم الآلة ويراد الأثر الناتج عنها (السيد، 1977).

وتختتم الآية بالوعيد كما ختمت سابقتها، ولكنه بنظم آخر على سبيل الخطاب الخاص الذي يراد به العموم، ومناسبة الانتقال من ذكر حقيقة الكتاب المنزل بالحق والعدل، إلى ذكر الساعة هي أنها موعد الحكم العدل والقول الفصل، والساعة غيب، والناس عنها غافلون، وهي منهم قريب، وعندها يكون الحساب القائم على الحق والعدل. وكلمة (ما يدريك) تجري مجرى المثل فهي خطاب خاص يراد به العموم، والاستفهام مستعمل في التنبيه والتهئية، وفي ذلك حض على العمل بما في الكتاب العدل قبل أن توزن الأعمال في يوم الحساب (ابن عاشور، 1984 هـ).

ويأتي الإخبار عن الساعة بـ (قريب) بالتذكير من حيث إن تأنيث الساعة غير الساعة حقيقي، وإذ هي بمعنى الوقت، والمعني لعل البعث أو لعل مجيء الساعة قريب، وفي ذلك وعيد للمشركين والغافلين عن العمل بمضمون الكتاب (القرطبي، 1964).

وتأتي صفة أخرى للكتاب تستند إلى المنزل عز وجل وبشترك القرآن فيها مع غيره من الكتب السماوية من حيث المصدر وطريقة الإنزال، وذلك في قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ).

وهنا يعود السياق - والسورة في خاتمتها - إلى الحقيقة التي ابتدأت بها السورة ودارت عليها آياتها، وهي حقيقة الوحي والرسالة، وقد كان التركيز هناك على مصدر الوحي، وذكر الصفات الإلهية ودلائل القدرة العظيمة، وتأتي في هذه الآية استكمالاً لما ذكر، إذ تصف طبيعة هذا الاتصال بين الله ورسوله لتؤكد للمنكرين حقيقة وقوعه، فضلاً عن أن الآية عودة إلى إبطال ذلك الإنكار الذي أومأت إليه بداية السورة، فكان العود إلى ذلك من قبيل ما يسمى في البلاغة العربية بـ (رد العجز على الصدر). وقد بين الله سبحانه أن حقيقة الوحي والرسالة لا تتعدى هذه الطرق الثلاثة، وقد جاء التعبير عن ذلك بصيغة الحصر المفتحة بأسلوب النفي لإفادة المبالغة في النفي، وذلك في قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ) (ابن عاشور، 1984 هـ). وقد أثمرت صيغة الحصر بالنفي والاستثناء دون غيرها من طرق الحصر الأخرى لأن السياق يقتضي التأكيد على النفي أولاً ليتناسب ذلك مع سبب نزول الآية وهو أن اليهود طلبوا من النبي ﷺ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ أَوْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ لِيُصَدِّقَهُ كَمَا فَعَلَ مُوسَى، فكان البدء بالنفي رداً لهم وإلجاماً، وإعلاناً لحقيقة الوحي والرسالة بشكل عام. (القرطبي، 1964)

واللطفية الأخرى في إثارة صيغة النفي والاستثناء هو "أن الخبر بالنفي والإثبات يكون ينكره المخاطب ويشك فيه، فإذا قلت ما هو إلا مصيب أو ما هو إلا مخطئ، قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلته" (الجرجاني ع)، والاستثناء بـ (إلا) فيه قولان: الأول: أنه منقطع، لأن الوحي ليس بكلام، فتكون (إلا) أداة استثناء، و(وحياً) مستثنى منقطع، وهو الرأي السائد، والثاني: أنه استثناء مفرغ من الأحوال باعتباره منفيًا مع حذف المستثنى منه، فتكون (إلا) أداة حصر و (وحياً) حال (الحسن، 1999).

ولا يخفى ما في الآية من الإجمال ثم التفصيل، وذلك في قوله (يكلمه) ثم قوله: (إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا) كما لا يخفى ما في ذلك من التخصيص، "فكان الأسلوب في القصر تفصيل يعقبه التخصيص والحصر" (الجواري، 1987)

ومن دقائق البلاغة في نظم الآية إثارة لفظة (البشر) ولم يقل (إنسان)، وذلك للتأكيد على بشرية الرسل بشكل عام، فضلاً عما في اللفظ من الإحياء بالتنبشير بالخير وحسن الهيئة لأنه مشتق من البشارة، كما لم يأت بلفظ (إنسان) تنزيهاً للرسل عن مجرد مخالفتهم البهيمية وعن النسيان أيضاً لأن الإنسان من النسيان (العسكري).

ويوحى هذا الإثارة إلى دلالة أخرى للفظ (البشر) وهي الظهور فقد سموا بشراً لظهور شأنهم وهو ما يناسب ذكر الرسل في هذا المقام ولذلك نجد أن القرآن الكريم قد خص كل موضع اعتبر من الإنسان جثته وظاهره بلفظ البشر (الزوبعي، 1995). ومن لطائف نسيج الآية ترتيب ما دل على تكليم الله الرسل بذكر الأعجب والأعظم من دلائل القدرة، ويتناسب ذلك مع مقام الرد على المنكرين واليهود الذين طلبوا من النبي ﷺ تكليم الله أو النظر إليه، فجاء بالمصدر أولاً (وحياً) وبما يشبه الجملة ثانياً (مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) وبالجملة الفعلية ثالثاً (وَيُرْسِلَ رَسُولًا) تلونا في التعبير وتفننا.

وقد تضمن النظم المعجز لونا بديعاً من ألوان البلاغة وهو الاحتباك، فقد ذكر الحجاب ثانياً دليلاً على نفيه أولاً، وذكر الوحي الدال على الخفاء أولاً دليلاً على الجهر ثانياً، ذلك أن قوله: (وحياً) هو التفتت ينفث في القلب فيكون إلهاماً ولا دليل في ذكر (الحجاب) ثانياً على الرؤية أولاً كما ذهب إلى ذلك (البقاعي، 1995).

ثم ختمت الآية بالاقتراح الثنائي بين وصفي (العلي الحكيم) تناسبا مع الغرض والسياق، لأن العلو علو عظمة فائقة لا تناسبها النفوس البشرية التي لم تحض بالتصفية فاقتضى علوه أن يكون الخطاب إلى البشر بوسائط، وأما وصف (الحكيم) فلأن معناه المتمكن ل لصنع بدقائقه، وما خطابه للبشر إلا لحكمة إصلاحهم ونظام عالمهم، وما الكيفيات الثلاث وقد تضمن هذا إلا من أثر الحكمة لتيسير تلقي خطابه (ابن عاشور، 1984 هـ).

وقد أثمر الوصف بـ (العلي الحكيم) في حين أثمر الوصف بـ (العلي العظيم) في بداية السورة، قال تعالى: (لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) ليتناسب كل وصف مع معنى السياق الذي ورد فيه، فحقيقة الوحي والرسالة تقتضي التعبير بوصف الحكمة، وحقيقة ملك السموات والأرض وما فيهما تقتضي التعبير بوصف العظمة.

المطلب الثاني: الأساليب البلاغية في تنزيل القرآن وصفاته باعتبار المخاطبين.

كذلك عرض مطلع السورة الكريمة صفة أخرى للكتاب الكريم، وهي عربية القرآن، وذلك في قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ قَرِيبٌ فِي الْجَنَّةِ وَقَرِيبٌ فِي السَّعِيرِ).

ولا شك في أن ذكر الوحي والرسالة بنظم يماثل المطلع هي تقرير لذلك المعنى، وكان لا بد لهذا التقرير - والدعوة في عهد المكي - من العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير العظمة في (أوحينا) وهو ما يسمى بالالتفات، حيث تحقق ضمير هذه المخالفة السياقية تثبيتها للسامع وتنبئها يستشرف من خلاله ما سيكون بعدها. أما عربية القرآن التي أكدت آيات كثيرة فقد جاءت هنا على سبيل التناسب بين هذا الوصف وبين حال المنذرين به وهم العرب من أهل مكة ومن حولها لأنهم المخاطبون بالدين ابتداء، وفي ذلك تشريف لهذه الأمة لتكون أول من يتلقى الإسلام وينشره بين الأمم فضلاً عن التشريف بعربية القرآن (ابن عاشور، 1984 هـ).

ثم تأتي صفة الإنذار على سبيل التعليل، والمعنى: (أوحينا إليك لتنذر)، وصفة الإنذار تناسب السياق السابق واللاحق لهذه الآية إذ الحديث فيه عن المشركين، والاقتصار على الإنذار هنا دون التبشير كما في (بشيرا ونذيرا) فيه تناسب أيضاً، لأنهم من قصدوا بالرد عليهم لإنكارهم الرسالة.

ومن دقائق البلاغة ولطائفها في نظم الآية التعبير عن مكة بـ (أم القرى) وإيقاع الإنذار عليها بحذف المضاف (أهل) على سبيل المجاز المرسل بعلاقة المحلية حيث عبر بلفظ المحل عن الحال فيه إيجازاً واختصاراً ولأنه أخف وأبلغ، كما في قوله تعالى: (وَأَسْأَلُ الْقُرْآنَ) [يوسف: 82]، وغرض الحذف هنا الاتساع وتنشيط الخيال وإثارة الانتباه فضلاً عما فيه من التهويل على النفوس (أبو موسى). والدليل على أن المحذوف (أهل) هو مجيء (من) بعده على سبيل الوصل بالواو، و(من) في الأغلب لمن يعقل (ابن عطية، 1422 هـ).

وثمة لطيفة أخرى وهي تكرار فعل الإنذار لتحقيق المزيد من التهويل، ويتسق هذا التكرار مع إسناد الفعل أو إضافته إلى (يوم الجمع) ليوجي بالاهتمام بترك المخالفات ترهيباً من عقابها، فضلاً عما في (يوم الجمع) من التناسب مع ذكر الوحي له ﷺ وللرسل الآخرين في مطلع السورة فهم جميعاً من ضمن الجمع، والتناسب أيضاً مع قوله تعالى قبل ذلك (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) فالمشركون وألتهنهم أيضاً من ضمن الجمع (القاسمي، 1418 هـ).

وفي الآية نكتة بلاغية لطيفة تتمثل في حذف ثاني مفعولي (تنذر) الأول، وحذف أول مفعولي (تنذر) الثاني مما أدى إلى تشكيل الاحتباك في أبلغ صور التناسب، فقد ذكر المنذرين أولاً دلالة على إرادتهم ثانياً، وذكر المنذر به وهو يوم الجمع ثانياً دلالة على المنذر به من عذاب الأمم أولاً، ليذهب به الوهم في المحذوف كل مذهب فيكون أهول، وذكر هذا المذكور أفخم وأوجل (البقاعي، 1995).

والتقدير (لتنذر أم القرى والعذاب وتنذر الناس يوم الجمع)، ولا يخفى ما في تقدير المحذوف من تقييد للفكر وحصر قوة فعل الإنذار وتهويله على المذكور فضلاً عن أن تقدير المحذوف يفسد جمال العبارة، وهو عبث بالنص وخروج على المعنى الذي أريد به، وهو بعد ذلك كله تضييع لفنية الأسلوب (أبو السعود) (الجواري، نحو القرآن، 1994)، ويمكن أن نربط بين الغموض بوصفه بعداً جمالياً للحذف وبين أثره في النفس، فالحذف يطلق للنفس العنان فتذهب في الحدس كل مذهب وترتاد آفاق المعاني التي يحتملها التعبير، ولغموض الفني آثاره النفسية ولا سيما في المعاني غير المحدودة مما يجللها بشيء من الزهبة والجلال، وهكذا يكون الإيجاز الحذف بعد نفسي يتمثل في التوسع بالدلالة الإيحائية ما يفتح المجال واسعاً أمام الذهن في التصور (سلام).

وفيه لطيفة أخرى تتمثل في تقديم إنذار (أم القرى) على إنذار (يوم الجمع) وهو من ذكر الخاص بعد العام، لأن قوله (تنذر أم القرى) عام بأمور الدنيا والآخرة، و(تنذر يوم الجمع) خاص بالآخرة (الألوسي، 1415 هـ).

وتأتي الجملة الأخرى بعد ذكر (يوم الجمع) لتنقل المتلقي من هول هذا أحداث يوم الإنذار وتزاحم الصور الذهنية في فكره نتيجة ذلك الحذف، إلى نتيجة أحداث يوم الجمع ومواقفه (فريق في الجنة وفريق في السعير)، هكذا بأسلوب الفصل عن الجملة السابقة، وكأن الجملتين جواب لسؤال سائل عن شأن هذا الجمع ونتيجته ومآل الناس فيه، فجاء الجواب على سبيل المقابلة بين (فريق في الجنة) و(فريق في السعير) بما في المقابلة من الطباق بين (الجنة) و(السعير) (ابن عاشور، 1984 هـ).

وهكذا تتواشج الأساليب البلاغية في النظم القرآني لتصف القرآن بعربيته، وبأنه وسيلة الرسول ﷺ للإنذار، ولتنقل المخاطبين من هول إلى هول، وتدخل في قلوبهم الرعب، وتستحضر لهم نتيجة الحساب العدل بأبهى صور المقابلة، ولتختار النفس البشرية فريقها الذي تريد، وتعمل جاهدة لتنال ذلك الانتماء.

المبحث الثاني: الأساليب البلاغية والتحليلية في النعم الإلهية لسورة الشورى

من بين ما عني به القرآن الكريم أكبر عناية، إبراز أنواع الإنعام من الله تعالى إلى عباده، فقد وجه أنظار الخلق إلى النعم التي لا تعد ولا تحصى، وهو في ذلك يدفعهم إلى التفكير في مصدرها وعظمة الخالق المنعم، ويثير القرآن في أنفسهم شكرها وتقديس بارئها ولا سيما أنها - باعتبار فهم أنفسهم - من خلق العلي القدير. وهكذا كان الحديث القرآني عن النعم الإلهية أسلوباً آخر من أساليب الدعوة، إذ إن التذكير بهذه النعم يثير في الإنسان عاطفة يمتزج فيها الإعجاب بالاعتراف بالجميل، تدفعه إلى حب الله المنعم والإيمان به، فتكون عبادته منبعثة عن حبه وشكر أياديه.

ولما كانت الدعوة في عهدها المكي تحتاج من القرآن أن يذكرهم بالنعم، ويظهر عظمة الخالق المنعم لتحقيق الدعوة هدفها، فقد تضمنت سور الشورى ذكر الكثير من النعم الإلهية، منها ما يتعلق بالخلق والإيجاد - وفي ذلك جانب من عظيم دلائل القدرة الإلهية - ومنها ما يخص نعمة التسخير - وفيها إكرام للنفس البشرية وبيان لفضل الخالق في ذلك - ومنها ما يتعلق بنعمة الهداية - وهي من أهم النعم التي يمتزج فيها حب الخالق الكريم بالنفس الإنسانية لتخرج من الظلمات إلى النور.

المطلب الأول: الأساليب البلاغية في نعمة الخلق والإيجاد.

لقد احتوت سورة الشورى نعمة من نعم الخلق والإيجاد، فبعد خلق السموات والأرض والليل والنهار وخلق الإنسان، وغير ذلك من النعم، يستكمل التعبير القرآني ذكرها بنعمة أخرى تتمثل بحاجة الإنسان إلى من يشاركه حياته في الدنيا، فجاء قوله تعالى: (فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) مذكراً بهذه النعمة الكبيرة وما تبعها من بسط الرزق لمن يشاء الله أن يرزقه ويقدر، وكل ذلك من دلائل قدرته. وقد جاء لفظ (الأرض) متأخراً عن (السموات) ليحقق تناسبا في نظم الآية إذ ذكر بعده خلق الأزواج من الناس والإنعام وهي صورة أرضية يتمثلها الإنسان بشكل محسوس ويتدبر فيها، فخلق الإنسان والأنعام من أعجب أحوال خلق الأرض. وفي قوله (لكم) تقدم على غيره من معمولات (جعل) ليعرف أنه معمول لذلك الفعل فلا يتوهم أنه صفة لـ (أزواجاً)، كما أنه أفاد التخصيص (ابن عاشور، 1984 هـ).

وآثر التعبير القرآني تغليب المخاطب على الغائب والعقلاء على غيرهم وذلك في قوله (يذُرُّكُمْ فيه) فهو خطاب للجميع، للناس المخاطبين وللأنعام المذكورة بلفظ الغيبة، ولتغليب العقلاء على غيرهم استخدم (لكم) المختص بالعقلاء (الزركشي، 1957 م).

وأوثر صيغة المضارع (يذُرُّكُمْ) لإفادة التجدد وهو ما يناسب سياق الامتنان، والمعنى يكثركم، وهو من (الذرع) أي البث، وفسر بـ (يخلقكم)، وضمير (فيه) للبطن أو الرحم أو الجعل والتدبير (القاسمي، 1418 هـ)، ويوحى إثارة لفظ (ذراً) على (خلق) بمعنى آخر وهو توالي الطبقات على مَرِّ الزَّمان (ابن عطية، 1422 هـ)، فضلاً عن معنى الإظهار بالإيجاد بعد العدم، واستعير الحرف (في) لمعنى السببية تشبيها للسبب بالظرف في احتوائه على مسبباته كاحتواء المنبع على مائه (ابن عاشور، 1984 هـ).

وبعد ذكر دلائل قدرته العظيمة في النعم الإلهية ولا سيما في خلق الإنسان والأنعام ذكراً وأنثى على سبيل التواصل والاستمرار، ذكر قوله (ليس كمثله شيء) نتيجة لهذه الدلائل، فلا شيء يماثله في تديره وإنعامه. وقد أفادت الكاف تأكيداً لمعنى المثل، وهو من التأكيد اللفظي باللفظ بالمرادف من غير جنسه وحسنه أن المؤكد اسم، والمراد ليس شبه ذاته شيئاً، والتعبير كناية عن نفي المماثل لذات الله تعالى، وقد شمل نفي المماثلة إبطال ما نسبوا لله من البنات وهو ما يناسب وقوعه عقب قوله (جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) (ابن عاشور، 1984 هـ). فالكناية هنا من باب "نفي الشيء بنفي لازمه، لأن نفي ال لازم يستلزم نفي الملزوم" (القاسمي، 1418 هـ)، وقد أفاد تنكير (شيء) في سياق النفي تعميماً وتوكيداً آخر للنفي، فلا شيء يكون مثلاً لمثله، وقد ذكر صاحب البحر المحيط أن العرب تقول (مثلك لا يفعل كذا) يريدون به المخاطب، كأنهم إذا نفوا الوصف عن مثل المخاطب كان نفياً عن المخاطب نفسه، وهو من باب المبالغة فجرت الآية في ذلك على نهج العرب من إطلاق المثل على في الشيء نفسه (أبو حيان، 1420 هـ). أما نفي المثل على إثبات السمع والبصر فهو مراعاة لمقتضى حال المخاطبين في إشراكهم، ولما كانت الصلة بينه تعالى وبين خلقه ليست منقطعة ناسب أن يختم الآية بقوله (وهو السميع البصير). ولاستكمال ذكر تفردته تعالى بالرزق، قال بعدها (لَهُ

مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ)، بتقديم المجرور لإفادة الاختصاص، وللإيحاء بأنها ملك له لا غيره.

ومن المحسنات البديعية في نظم الآية الطباق بين (يبسط . ويقدر)، وقد جاءت الجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها. وأوثر لفظ (المقاليد) على سبيل الاستعارة المكنية للتعبير عن خيرات السموات والأرض التي بيده، إذ شبهت الخيرات بالكنوز وأثبت ما هو ردف لها وهو المفاتيح، وفي ذلك دليل من دلائل القدرة العظيمة، فضلاً عن تناسبه مع ثنائية (السميع البصير) ووصفه بأنه (بكل شيء عليم)، فلا يعلم تلك المقاليد وعظمتها إلا هو، وهو البصير بعباده (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) وهذه الجملة بيان للإجمال الذي تضمنته الجملة الأولى، وبسط الرزق على ما فيه من نعم كثيرة وعظيمة هو جزء يسير من مقاليد ومن السموات والأرض وما فيها من النعم (الألوسي، 1415 هـ).

ومن لطائف البلاغة القرآنية في قوله تعالى: (اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) الاحتراس، فقد عطف قوله (وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) على ما قبله، وهو تمجيد لله تعالى بهاتين الصفتين للاحتراس من توهم أن لطفه عن عجز أو مصانعة، أو عن توهم أن رزقه لمن يشاء عن شح أو قله، ولذلك نفت هاتان الصفتان كل ذلك التوهم ولاسيما أن الإخبار بهما عن اسم الجلالة بتعريفهما باللام قد أفاد قصر القوة والعزة عليه تعالى وهو قصر الجنس للمبالغة لكمالها فيه حتى كأن قوة وعزة غيره عدم، فضلاً عما يفيد هذا التعريف من التوكيد مراعاة لمقتضى حال المخاطبين (ابن عاشور، 1984 هـ).

ويتواشج هذا الاحتراس في ذكر الصفتين مع فن بلاغي آخر هو التذليل، فقوله (وهو القوي العزيز) تذليل للتعليل، كأنه قيل: إنما تلتطف في حق عباده المؤمنين دون من غضب عليهم بمحض مشيئته لأنه قوي قادر على تخصيص رحمته لمن يشاء. وقد ناسب هذا التذليل بالاسمين الجليلين القول بالعموم أيضاً، فهو لطيف بعباده عام الإحسان بهم لأنه القوي الغالب الذي يرزق من يشاء ولأنه العزيز الذي لا يغلب على ما يريد (الألوسي، 1415 هـ).

ومن التناسب الذي أوحى به التذليل أيضاً إثارة ثنائية (القوي العزيز)، فمن كان عزيزاً لا بد أن يكون قوياً فهو سبحانه الذي لا يعجزه شيء، وإذا بطش بشيء وعلى أهلكه (الطبري، 2000 م)، فناسب ذلك مضمون الآية تماماً إذ إن القوي هو الذي يقدر على الشيء وعلى أكثر منه، والعزيز هو الممتنع الذي لا ينال بالأذى، فهو القوي القادر على رزق عباده جميعاً وهو العزيز الذي لا ينال بالأذى إذا ما حرم من يشاء من الرزق، فهو صاحب نعمة الخلق والإيجاد، يمنح ما يخلق من الرزق وما يوجده لمن يشاء من عباده (العسكري).

المطلب الثاني: نعمة التسخير.

تأتي نعمه فيها سر الحياة وديمومتها للخلائق، وهي تسخير الماء لحي الأرض والنبات والحيوان والإنسان، يقول الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ).

ففي الآية تذكير بجانب من فضل الله على العباد في كل زمان ومكان، فإذا أمسك الله عنهم الغيث أدركهم اليأس والقنوط، وهي صورة محسوسة على مدى الدهر، وفيها دليل آخر من دلائل القدرة الإلهية ولاسيما أن في السامعين مشركين يظنون نزول الغيث من تصرف الكواكب، وفيهم المسلمون الغافلون، نزلوا منزلة من يظن نزول الغيث منوطاً بالأسباب المعتادة لنزوله (ابن عاشور، 1984 هـ)، ولذلك بدأت الآية بصيغة قصر القلب وهي "تخصيص شيء بشيء آخر معين قصداً لرد خطأ المخاطب في حكمه بعكس ما حكم به" (شيخون، 1983).

وقد أثر التعبير القرآني صيغة المضارع (ينزل) لإفادة التكرار والتجديد، ويؤثر التعبير القرآني لفظ (الغيث) لتؤدي معنى الرحمة والخير والنعمة، وتوحي بمعنى الغوث أي النصرة (ابن عاشور، 1984 هـ).

وهكذا يسخر الله تعالى الماء لعباده لحيي الأرض ونباتها فيحيا بذلك الإنسان والحيوان وتتشكل العيون والينابيع والأنهار مسخرة بقدرته تعالى للإنسان، وفي ذلك فضل كبير ونعمة عظيمة تستحق الشكر لله.

ومن نعمة الهداية قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَتْ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ).

تبدأ الآية بتقديم الخبر (من آياته) على مبتدئه، لإفادة الاختصاص والتوكيد لمناسبة ذكر دلائل القدرة في الآيات الكونية. وتذكر هنا نعمة الخلق والإيجاد لإثبات القدرة الإلهية، والصنعة الدالة على الصانع وهي خلق السموات والأرض، وقد تكرر ذلك في القرآن كثيراً. ولما كان المقام مقام عرض دلائل القدرة لتحقيق الهداية أدمج إمكان البعث في الاستدلال على عظيم قدرة الله وعلى تفرد الألوهية، وتقديم الضمير (هو) أفاد قصر هذا الفعل عليه وبمشيئته، وإثارة الحرف (على) للاستعلاء والتمكن، ومن التناسب أن يؤثر قوله (جمعهم) ليكتمل الطباق بينه وبين (بث). ويقابل التعبير القرآني بين

مشهد البث ومشهد الجمع ليشهد القلب هذين المشهدين الهائلين قبل أن ينتهي اللسان من آية واحدة من القرآن (قطب، 1971).

المبحث الثالث: ثبت الأساليب البلاغة في سورة الشورى

الأسلوب البلاغي	الآية وموضع الشاهد من سورة الشورى
1. التشبيه	(كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ "3")
2. الإدماج	(كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ "3")
3. التقديم	(كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ "3")
4. العدول	(كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ "3")
5. الفصل والإيثار	(اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "3")
6. الفصل	(تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقَهُنَّ "5")
7. الاستعارة المكنية	(تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقَهُنَّ "5")
8. التذييل والقصر	(إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ "5")
9. الفصل والبيان بعد الإجمال	(اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ "17")
10. التعريف	(اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ "17")
11. الاستعارة أو المجاز المرسل	(اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ "17")
12. خطاب الخصوص الذي يراد به العموم	(وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ "17")
13. القصر	(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ "51")
14. الإجمال ثم التفصيل والترتيب	(أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا "51")
15. الاحتباك	(أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ "51")
16. الإيثار والتناسب	(إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ "51")
17. الالتفات	(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا "7")
18. المجاز المرسل	(لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا "7")
19. الاحتباك	(لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ "7")
20. المقابلة والطباق	(قَرِيبٌ فِي الْجَنَّةِ وَقَرِيبٌ فِي السَّعِيرِ "7")
21. التقديم	(فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا "11")
22. الكناية	(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ "11")
23. التنكير	(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ "11")
24. التقديم	(لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ "12")
25. الطباق	(لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ "12")
26. الاستعارة	(لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ "12")
27. التنكير	(اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ "19")
28. الاحتراس	(وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ "19")
29. التعريف	(وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ "19")
30. التذييل	(وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ "19")
31. الفصل	(لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ "49")
32. التنكير	(يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا "49")
33. التعريف	(وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورِ "49")

34.	صحة التقسيم	(تَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا تَابِعُوا رَأْيَهُمْ ذَكْرًا وَإِنَّا تَابِعُوا رَأْيَهُمْ ذَكْرًا * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَّا نَمُوتُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَّا نَمُوتُهُمْ ذُكْرَانًا) (50-49)
35.	الطباق	(أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَّا نَمُوتُهُمْ ذُكْرَانًا) (50)
36.	القصر	(وَهُوَ الَّذِي يُزِلُّ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ) (28)
37.	التشبيه	(وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) (32)
38.	الاستعارة	(سَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا) (13)
39.	التعريف	(سَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا) (13)
40.	الالتفات	(سَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) (13)
41.	الاستعارة	(أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا) (13)
42.	الفصل	(كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) (13)
43.	الفصل	(اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) (13)
44.	القصر بالتقديم	(اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) (13)
45.	الاستعارة	(اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) (13)
46.	التقديم	(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) (29)
47.	التنكير	(وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ) (29)
48.	القصر بالتقديم	(وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) (29)
49.	الطباق	(وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) (29)
50.	المجاز العقلي	(وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا يَنْتَهُمُ) (14)

الخاتمة:

بحمد الله تعالى ومنته وتوفيقه أتممت هذا البحث بما يسره الله تعالى لي من جمع وترتيب وتحليل، وتضمن هذا البحث "سورة الشورى دراسة بلاغية تحليلية" فإن أساليب العبارة القرآنية ومعانيها ودلالاتها المختلفة لا يمكن لمثل هذا البحث استقصاءه، فلقد توصل البحث إلى النتائج الآتية:

1. أن التعبير القرآني غالباً ما يؤثر صيغة (نزل) واشتقاقاتها في ذكر الكتاب وصفاته لما لهذه الصيغة من إحياء إلى التدرج والتكثير والمبالغة والاهتمام وكذلك التوكيد، ومن أهم الأساليب البلاغية التي أثرها القرآن الكريم في ذكر تنزيل الكتاب وصفاته الإيثار والتناسب.
2. أن التقديم والتأخير لما له من أثر في النفس عندما ينسجم مع مقتضى الحال فضلاً عن أنه يكسب الكلام جمالاً وتأثيراً لأنه سبيل إلى نقل المعاني في ألفاظها إلى المخاطبين كما هي مرتبة ومتناسبة مع واقع الحال تحقيقاً لإشباع الرغبة في نفوسهم.
3. تداخل فن الاحتراس مع التذييل وتعالقهما مع الإيثار والتناسب ولا سيما في دقة اختبار التعبير القرآني للصفات الإلهية والأسماء الحسنى في خواتيم الآيات القرآنية.
4. تداخل التقديم والتأخير مع التعريف والتنكير وكيف يكون أحدهما مكماً للآخر، وقد ظهر ذلك جلياً في ذكر نعمة الذرية وهبة الله لعباده منها ذكوراً وإناثاً أو أحدهما.
5. تداخل أسلوب القصر مع التذييل ولا سيما في خواتيم الآيات التي تضمن تعريضاً بالمشركون، فضلاً عما فيها من الإيماء بنعم الله الكثيرة وأولها الهداية.
6. وحدة شعب البلاغة وفنونها ووحدة نسج لحمتها وذلك من خلال التأكيد على تواشج الأساليب البلاغية مع بعضها، فقد ظهر تواشج القصر مع الاحتراس والمجاز العقلي في قوله تعالى: (وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا يَنْتَهُمُ).
7. تداخل أسلوب التقديم والتأخير مع الإيثار في قوله تعالى: (فَلِذَلِكَ فَادُعُ وَاسْتَقِم)، كما أكدت السورة على اقتران الفصل بالتذييل واقتران التذييل بالإيثار والتناسب.
8. يعتمد السياق القرآني أسلوب الاستفهام الإنكاري مراعاة لمقتضى الحال مع مخالفة الظاهر ولا يخفى ما يتضمنه الاستفهام الإنكاري من معنى النفي فضلاً عما فيه من دلالات أخرى لا نجدها في النفي الصريح.

المصادر والمراجع:

- أبو حيان، م (1420). هـ. (البحر المحيط في التفسير). ص. جميل (Ed.), بيروت: دار الفكر.
- الزركشي، ب (1957). م. (البرهان في علوم القرآن). م. إبراهيم (Ed.), بيروت: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
- ابن القيم، أ. (n.d.). الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان. بيروت: دار الكتب العلميّة.
- ابن القيم، م. (n.d.). بدائع الفوائد. بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن عاشور، م (1984). هـ. (التحرير والتوير. تونس: الدار التونسية للنشر.
- ابن عطية، ع (1422). هـ. (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز). ع. محمد (Ed.), بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن كثير، أ (1419). هـ. (تفسير القرآن العظيم Vol. 1ط1). م. شمس الدين (Ed.), بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون.
- أبو السعود، م. (n.d.). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- أبو موسى، م. (n.d.). خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني. مكتبة وهبة.
- الألويسي، ش (1415). هـ. (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني). ع. عطية (Ed.), بيروت: دار الكتب العلمية.
- البدوي، أ. (2005). من بلاغة القرآن. القاهرة: نهضة مصر.
- البروسوي، أ. (n.d.). تفسير روح البيان. بيروت: دار الفكر.
- البقاعي، ب (1995). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور). ع. المهدي (Ed.), بيروت: دار الكتب العلمية.
- الجري، م. (1995). البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعلم البيان. مسلاته: منشورات جامعة ناصر الخمس.
- الجرجاني، ع. (n.d.). دلائل الإعجاز في علم المعاني). ي. الأيوبي (Ed.), المكتبة العصرية.
- الجرجاني، ع. ع. (1992). دلائل الإعجاز في علم المعاني. القاهرة: مطبعة المدني.
- الجواري، أ. (1987). نحو المعاني. بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي.
- الجواري، أ. (1994). نحو القرآن. بغداد: مكتبة اللغة العربية.
- الحسن، ح. (1999). الاستثناء في القرآن الكريم نوعه، حكمه، إعرابه. الموصل: مطبعة الزهراء.
- الرازي، ف. (2000). التفسير الكبير (مفاتيح الغيب). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الزوبعي، ط. (1995). ظاهرة الترادف في ضوء التفسير البياني للقرآن. بنغازي: جامعة قار يونس.
- السيد، ش. (1977). التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية. مصر: مكتبة الشباب.
- الصاوي، أ. (1979). فن الاستعارة دراسة تحليلية في البلاغة والنقد. الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الطبري، م. (2000). م. (جامع البيان في تأويل القرآن). أ. شاعر (Ed.), مؤسسة الرسالة.
- العسكري، أ. (n.d.). الفروق في اللغة). ح. القدسي (Ed.), بيروت: دار الكتب العلمية.
- القاسمي، م. ج (1418). هـ. (محاسن التأويل). م. السود (Ed.), بيروت: دار الكتب العلمية.
- القرطبي، م. (1964). الجامع لأحكام القرآن). أ. البردوني &، إ. أطفيش (Eds.), القاهرة: دار الكتب المصرية.
- المرادي، ب. (1992). الجنى الداني في حروف المعاني). ف. قباقبة &، م. فاضل (Eds.), بيروت: دار الكتب العلمية.
- سلام، م. (n.d.). أثر القرآن في تطور النقد العربي. مصر: دار المعارف.
- شيخون، م. (1983). أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.
- صالح، ح. (2010). جماليات تصوير الحركة في القرآن الكريم. الكويت: روافد.
- قطب، س. (1971). في ظلال القرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- لاشين، ع. (1978). المعاني في ضوء أساليب القرآن. مصر: دار المعارف.
- لاشين، ع. (1982). ابن القيم وحسه البلاغي. بيروت: دار الرائد العربي.